المتغيرات الجديدة في سياسة روسيا الاتحادية تجاه منطقتي آسيا الوسطى والقوقاز

م. طالب حسين حافظ*

الخلاصة :

تبقى روسيا الاتحادية ، العامل المؤثر المركزي في فضاء مابعد الاتحاد السوفياتي ، لاسيما في منطقتي آسيا الوسطى والقوقاز ، وهي التي تضع المعايير للتحولات المحلية في المنطقتين .

لقد استمر القلق الروسي من انتقال ميزان القوة في العالم ، ولطالما اهتمت روسيا بالحد من حركة الولايات المتحدة في المجال الذي تعتبره روسيا حيوياً لمصالحها القومية .

ويؤدي القوميون الروس ، دوراً أساسياً في اعادة احياء تأثير روسيا في آسيا الوسطى باعتباره المجال الحيوي والحليف الطبيعي لروسيا ، ولكن دون اللجوء الى الاساليب القديمة بالتهديد باستخدام القوة العسكرية .

ان فكرة عودة روسيا قوةً عظمى في الساحة العالمية وفي آسيا الوسطى بالذات ، هي فكرة تهيمن على روسيا اليوم . فروسيا تنظر الى آسيا الوسطى بأنها " الجائزة في الطريق " ، وبعد ان استطاعت روسيا ان تبعد شبح الهيمنة الغربية المتمثلة بالولايات المتحدة اساساً عن المنطقة ، فان هناك ثلاثة خيارات لمستقبل آسيا الوسطى :

١. ان تبقى تحت المظلة الروسية .
٢. ان تنزلق بفوضى وعدم استقرار .
٣. أن تصبح تحت الهيمنة الصينية .

ولكن بفضل سياسة " القوة الناعمة " الروسية والمحافظة على المواطنة الروسية هناك ، فان ذلك سيضمن – الى حد كبير – بقاء الجمهوريات الاسلامية في آسيا الوسطى ، تحت تأثير روسيا سياسياً واقتصادياً .

أما في منطقة القوقاز ، فان مايمكن ملاحظته ، هو ان خطر تجدد أعمال العنف على كل الجهات لايزال قائماً . ان السلم القلق الذي يغطي المنطقة هو ليس سلماً تم التوصل اليه عبر مفاوضات وافقت عليها جميع الاطراف . فالتوتر يسود الاجواء سواء على صعيد العلاقات بين الدول (اذربيجان – أرمينيا) و (روسيا – جورجيا) أو على صعيد الاوضاع الداخلية للدول ذاتها : روسيا الاتحادية ومشكلاتها مع (القوقاز الشمالي : داغستان ، الشيشان ..) ، (اذربيجان واقليم قرة باخ) ، (جورجيا واوسيتيا وابخازيا) وهكذا فضلاً عن تدخل دول الاقليم ممثلة بتركيا وايران ، والقوى الكبرى كالولايات المتحدة واوروبا . فكل دول القوقاز ليست لديها نية للقبول بالوضع القائم المتمثل في سيطرة الاقليات على بعض المناطق ، وبالتالي فأنه ليس مبالغة القول ان القوقاز ستبقى منطقة مضطربة لمدة من الزمن .

وجاءت الحرب الروسية – الجورجية ، لتفرض واقعاً جديداً ، فالنظام الدولي لن يستمر احادي القطبية الى الأبد ، حيث تعد ازمة اوسيتيا الجنوبية نقطة تحول تشير الى بدء تغير حقيقي في هيكل النظام الدولي نحو نظام متعدد القوى . وتعد روسيا الاتحادية فاعلاً محورياً في هذا النظام ، مما يعني ان الصراع الدولي سوف يستمر مع الولايات المتحدة وسوف يكون اكثر وضوحاً في منطقة المجال الحيوي لروسيا والمتمثلة في جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق ، اذ تشكل مصادر الطاقة ومناطق مرور الانابيب بؤرة جديدة للصراع .

* جامعة بغداد/ مركز الدراسات الدولية/ قسم الدراسات الاوروبية.

المقدمة :

تفكك الاتحاد السوفياتي في العام ١٩٩١ وما بعده الى خمس عشرة دولة مستقلة . وقد شكلت روسيا الاتحادية الوريث الشرعي لذلك الاتحاد ، وهي اكبر دولة فيه ، كما تشكل اكبر دولة في العالم من حيث المساحة ، اذ تمتد اراضيها من أقصى الشرق في اطراف آسيا الى أواسط اوروبا . وهي بهذا الامتداد الشاسع تحاذي معظم الجمهوريات السوفياتية السابقة ، ومنها الجمهوريات الاسلامية الخمس في آسيا الوسطى (كازاخستان أوزبكستان ، طاجكستان ، تركمانستان ، قرغيزستان) والجمهوريات الثلاث في القوقاز (اذربيجان ، ارمينيا ، جورجيا) .

وفضلاً عن الروابط التاريخية القديمة التي تربط روسيا الاتحادية بتلك الجمهوريات والتي تمتد الى الحقبة القيصرية ، فهناك الكثير من العوامل المهمة والمصالح المشتركة التي تربطها بها ، والتي تشكل عوامل حيوية في العلاقة المشتركة بينهما ، فهناك :

١. البعد الجيوبوليتيكي ، والذي ينعكس على الأمن القومي والمصالح العليا لروسيا الاتحادية .
٢. العامل الاقتصادي المتمثل بمصادر الطاقة (النفط والغاز) ومسارات الانابيب الناقلة .
٣. انعكاسات أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ والحرب على الارهاب .
٤. التواجد الاجنبي المتمثل بالولايات المتحدة الامريكية والتمدد الاقليمي .
٥. تجارة المخدرات غير المشروعة ، والعصابات العابرة للحدود .

وكذلك المصالح الاقتصادية الأخرى المشتركة ووجود جالية روسية كبيرة تضم عدة ملايين ، وملايين عديدة أخرى عاملة من تلك الجمهوريات في روسيا الاتحادية .

روسيا الاتحادية ، على الرغم من من تغير الزمان أو التسمية ، لا تستطيع أن تغمض عينيها عن فضائها الحيوي السابق في آسيا الوسطى والقوقاز ، لذلك وعلى الرغم من من التراجع الملموس في دور وتأثير روسيا ، مع ما رافقه من صعود مهيمن للولايات المتحدة في الشؤون الدولية ، إلا إن الدور الروسي يظل رقماً لا يمكن تجاوزه في منطقتي آسيا الوسطى والقوقاز ، وهذا ما يدركه الجميع .

يرمي هذا البحث وبالأستفادة من المنهج التحليلي ، الى دراسة المتغيرات الجديدة في سياسة روسيا الاتحادية تجاه منطقتي آسيا الوسطى والقوقاز ، وانعكاسات الدور الدولي والاقليمي على ذلك . وقد تم تقسيم البحث الى مبحثين ومقدمة وخاتمة .

المبحث الأول

سياسة روسيا الاتحادية تجاه آسيا الوسطى ... الواقع والآفاق

العودة الروسية الى المنطقة :

شهد عقد التسعينيات ، وهي الحقبة التي اعقبت مباشرة تفكك الاتحاد السوفياتي السابق، شهدت تلك الحقبة انطواء روسيا الاتحادية على الداخل المحلي وانغماسها بمشاكلها العديدة الناجمة عن الواقع الجديد ، وقد انطوى ذلك على الابتعاد عن الاهتمام بمنطقة آسيا الوسطى .

ولكن منذ العام ٢٠٠٠ وتسلم فلاديمير بوتين لمنصب الرئاسة في روسيا وتطلعه لأن تؤدي روسيا الاتحادية موقعها من جديد قوةً عظمى (Super Power) ، فقد استدارت روسيا لاثبات وجودها من جديد في الفضاء السوفياتي السابق ومنها آسيا الوسطى .

في آسيا الوسطى ، كان الحضور الروسي واضحاً من جديد من خلال التواجد السياسي (اسناد الكرملين للانظمة المتواجدة في السلطة) وايضاً من خلال المستوى الجيوبولتيكي (معاهدة الأمن الجماعي ومنظمة شنغهاي للتعاون) . ويشهد المجال الاقتصادي ، هيمنة العديد من الشركات الروسية خاصة في مجال السيطرة على مصادر الطاقة (النفط والغاز) وانابيب نقلها الى اوربا .

ان العودة الروسية لآسيا الوسطى ، تؤكد رغبة موسكو لابقاء سيطرتها على تلك الجمهوريات السوفياتية السابقة ، ولاستمرار ذلك التأثير طبقاً لمبادىء القوة الناعمة " Soft Power " بغية استمراره في السيطرة على الاوضاع غير المستقرة في المنطقة . [1]

لقد بدأت ملامح العودة الاستراتيجية الروسية للفضاء السوفياتي السابق ، وذلك مع انشاء (كومونولث الدول المستقلة أو رابطة الدول المستقلة CIS) في أيلول ١٩٩٥ والذي يعد المجال الحيوي للمصالح الروسية ، استناداً الى ذلك تم ايجار مواقع في كازاخستان ، وبقاء قطعات عسكرية روسية في كل من قرغيستان وطاجكستان على طول الحدود مع الصين وافغانستان وايران ، وايضا مشاركة القوات الروسية في الحرب الاهلية الطاجيكية (١٩٩٢ – ١٩٩٦) .

ان تبوء رئيس الوزراء فلاديمير بوتين لمنصب الرئاسة في روسيا ، ولاسيما بعد تنامي الشعور القومي الروسي والذي جاء بعد العديد من الصفعات الغربية لروسيا المتمثلة بتقليص الدعم الاقتصادي والموقف تجاه الحرب في الشيشان وقصف حلف الناتو لصربيا والموقف تجاه كوسوفو ، ان ذلك قد دفع بالقيادة الروسية لاعادة التفكير والاهتمام بآسيا الوسطى كأسبقية متقدمة في اعادة مكانة روسيا العالمية . وهكذا كانت زيارات بوتين الى طاجيكستان واوزبكستان في تشرين ثاني وكانون أول ١٩٩٩ ، ومن ثم الى اوزبكستان وتركمانستان في أيار وحزيران ٢٠٠٠ . وقد انعكست تلك الاهتمامات الروسية من خلال تطوير العلاقات بدول الكومنولث في المنطقة وايضاً مع دول الاقليم : الصين ، الهند وايران ، حيث تم التأكيد على تقوية الأواصر الأمنية مع دول الكومنولث لمواجهة التهديدات الارهابية في دول القوقاز وآسيا الوسطى ، وايضاً محاولة السيطرة على مكامن الطاقة في بحر قزوين .

انعكاسات أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ :

اعربت روسيا بشكل فوري غداة أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ عن دعمها للجهود التي قادتها الولايات المتحدة لمكافحة الارهاب ، ونتج هذا القرار عن مصالح أمنية وعن النفعية في آن واحد . فروسيا تشعر انها مهددة جراء تنامي موجة الاستياء والفوضى على حدودها الجنوبية في القوقاز وآسيا الوسطى ، وقد سعت دون نجاح ، لدفع الغرب الى اعتبار الاعمال العدائية المستمرة في الشيشان جزءاً من الحرب العالمية ضد الارهاب ، وجاء دعمها للحرب على الارهاب الى امتناع الولايات المتحدة واوربا الغربية عن انتقاد انتهاكاتها لحقوق الانسان في المنطقة .

شكلت احداث ١١ أيلول وما تلاها الفرصة المناسبة لروسيا للتواجد والتأثير الفعال في المنطقة ، بل ان روسيا استثمرت هذه الفرصة بشكل جيد لصالحها في المنطقة . [٢]

ونتيجة لذلك جرى تحول في السياسة الخارجية الامريكية تجاه روسيا واهتماماتها في منطقة آسيا الوسطى ، بعد اهمال او عدم اكتراث امريكي بمصالح روسيا في المنطقة . ان جهود الولايات المتحدة لمحاربة الارهاب اجبرتها على ان تأخذ بنظر الاعتبار تلك المصالح الروسية ، فضلاً عن اهداف روسيا في وقف الانتقادات الغربية الموجهة ضد سياستها في الشيشان واعتبار المقاتلين الشيشان جزء من جبهة الارهاب العالمي ، جاءت فرصة لروسيا لاستعادة نفوذها في آسيا الوسطى حيث يتطلب الأمر موافقة روسيا لاستخدام اراضي دول المنطقة لشن الهجمات الامريكية على افغانستان .

ان التعاون بين روسيا الاتحادية والولايات المتحدة الذي اعقب احداث ١١ أيلول كان قصير الأمد ، فالحرب في العراق والمواقف المختلفة للطرفين تجاه عدد من القضايا العالمية وتحديداً : ايران وكوريا الشمالية وكوسوفو ، قادت الى سياسات خارجية متضادة ، كما ادت " الثورات الملونة " في جيورجيا ٢٠٠٣ واوكرانيا ٢٠٠٤ وقرغيزستان ٢٠٠٥ الى تقوية العلاقات السياسية بين سلطات الدول في آسيا الوسطى وروسيا .

وهكذا ادت هذه الظروف الى ان يتخذ الجميع خط الرئيس الروسي بوتين برفض التدخل الغربي والحث على تقوية الانظمة في آسيا الوسطى تجاه التشدد الاسلامي او الانضمام الى حلف الناتو .

مجالات التعاون :

ان عودة روسيا الاتحادية لمنطقة آسيا الوسطى لم تكن مقتصرة على الجانب السياسي فقط ، ولكنها اشتملت ايضاً على التعاون العسكري والاستراتيجي الثنائي وعلى مستوى المنطقة ايضاً . وكانت الاسباب وراء استراتيجية روسيا الجديدة هذه متعددة ، فسياسة الرئيس بوتين والتي اتسمت بالنفعية (البراغماتية) ، اشارت الى ان الاتحاد بين دول آسيا الوسطى لايمكن لوحده ان يدير العلاقة بين تلك الدول ، حيث يمكن

للرغبة السياسية والوسائل المالية ان تؤدي دورها ، ولهذا يجب البحث عن اطراف للمشاركة في هذه المسؤولية . ومن ضمن الحلفاء الاسيويين كانت هناك الصين وايران . كما ان الواقعية الروسية تضمنت الموافقة على التواجد العسكري الامريكي في آسيا الوسطى ضمن الجهد الخاص بالحرب في افغانستان . وهكذا كان ايضاً انشاء قاعدتين عسكريتين امريكيتين في قرغيستان واوزبكستان ضمن اطار " اللعبة الكبرى " في المنطقة . وبالاستفادة من انكماش العلاقة بين الولايات المتحدة ودول آسيا الوسطى منذ العام ٢٠٠٣ ، فقد وضعت روسيا استراتيجية خاصة لاحتواء النفوذ الغربي في المنطقة ، فصفحة التحالف مع الولايات المتحدة افسحت لروسيا طريق النفوذ الاستراتيجي والاقتصادي في الفضاء السوفياتي السابق .

وضمن مجال التعاون العسكري ، كانت الاستراتيجية في هذا القطاع تتضمن المساعدة بصورة شاملة من روسيا حيث الجيوش في جمهوريات آسيا الوسطى رديئة التدريب وتعاني من نقص واضح في المعدات والتجهيزات ومستوى عال من الفساد ، وايضاً نقص في الافراد والمعنويات نتيجة ظروف المعيشة الصعبة . (٣)

ان روسيا الاتحادية تحدوها رغبة قوية في اعادة تواجدها العسكري في اراضي آسيا الوسطى لموازنة التعاون المقابل مع الناتو (حيث ان الدول الاسلامية الخمس في آسيا الوسطى قد اضحت اعضاء في " المشاركة من اجل السلام " عام ١٩٩٤) ، وكذلك ايقاف تدفق المساعدات العسكرية الامريكية لدول المنطقة .

وفي مجال الطاقة (النفط والغاز والانابيب الناقلة) ، فان أمن الطاقة يعدّ من القضايا التي تحتل الاولوية ، والتركيز عليه تمليه عدة عوامل ، وسيكون للاهمية المتزايدة لقضايا أمن الطاقة العديد من الارتدادات الجيوستراتيجية . فمن المرجح ان يعمل الصراع من اجل الحصول على مصادر الطاقة والسيطرة عليها على زيادة التوترات بين الجهات الفاعلة الرئيسية في اسواق الطاقة العالمية والتي يمكن ان تؤدي الى وقوع نزاعات .

وهناك ثلاثة مصادر رئيسة للتوتر ضمن هذا المجال ، هي :

١. المصالح المتباينة على صعيد الطاقة للدول المستهلكة ، والمنافسة المتزايدة بينها في اسواق الطاقة العالمية .
٢. العلاقات بين المنتجين والمستهلكين والمخاوف من استخدام الطاقة كسلاح .
٣. النزاعات الحدودية على ملكية مصادر الطاقة .

لقد أدت الوفرة في احتياطات النفط والغاز في المناطق التقليدية التي تشهد منافسة بين القوى العظمى وفي المقدمة منها منطقة آسيا الوسطى ، الى منافسة بين الدول على الحصول على هذه المصادر وعلى مسارات خطوط الانابيب ايضاً كما في حالة بحر قزوين . (٤)

وتعمل روسيا جاهدة من اجل حماية مصادر دخل الطاقة التي تشكل ثلثي صادرات البلاد من خلال بيع الغاز الطبيعي والنفط والسيطرة على مسارات الانابيب ، وانطلاقاً من هذا الأمر فقد توصل الرئيس الروسي بوتين مع رئيس الدولة الاوزبكية اسلام كريموف الى اتفاق في ٢ أيلول ٢٠٠٨ خصوص انشاء خط انابيب جديد للغاز الطبيعي يتصل بتركمانستان مع قدرة على استيعاب مرور (٣٠) مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي سنوياً عبر الاراضي الروسية ، فروسيا لديها نظام شبكة خطوط لنقل الغاز تصل الى اوربا ، ومن اجل توصيل الغاز عبر هذه الشبكة ، فقد وقعت روسيا وتركمانستان في أيار ٢٠٠٧ اتفاقاً لنقل (٨٠) مليار متر مكعب سنوياً من تركمانستان عبر الاراضي الروسية ولمدة (٢٥) عاماً . (٥)

كما ان روسيا لايمكن لها ان تغمض عينها عن الصين ثاني اكبر مستورد للنفط في العالم ، فقد وقعت روسيا والصين في ٢٠٠٩/٤/٢١ اتفاقاً للتعامل في مجال النفط ، تقدم بكين بمقتضاه قرضاً قياسياً بقيمة (٢٥) مليار دولار الى موسكو مقابل امدادات النفط الروسي الى الصين . (٦)

لقد شكل العامل الاقتصادي احدى القوى الاساسية في التوجه الروسي نحو منطقة آسيا الوسطى ، ففي حين كانت الشركات الروسية الكبرى في عقد التسعينيات من القرن الماضي تتبع سياسات خاصة بها تتعارض احيانا كثيرة مع سياسة الكرملين ، فانه ومع مجيء الرئيس بوتين فقد تم توحيد تلك السياسات .

ومن ثم فان الحكومة الروسية قد ساندت توسع عمل الشركات الحكومية الروسية في الفضاء السوفياتي السابق ، اذ ان ذلك يعزز من التواجد السياسي الروسي في المنطقة .

وعلى الرغم من ان قطاع النفط يخضع للمنافسة ، ولكنه كان احدى الوسائل التي استخدمتها روسيا مع احتكارها لقطاعي الغاز والكهرباء في المنطقة .

ان روسيا الاتحادية لازالت الشريك التجاري الاساسي في آسيا الوسطى ، ففي العام ٢٠٠٦ اصبحت اهم شريك تجاري لكازاخستان (زادت المبادلات التجارية عن ١٠ مليار دولار امريكي) ، وكذلك الحال مع اوزبكستان بما يزيد عن ربع مبادلاتها الخارجية (٣ مليار دولار امريكي) ، وهي الشريك التجاري الثاني لقيرغيزستان ، وفي تركمانستان توازي تجارتها مع اوكرانيا ، ايران وباقي دول اوربا ، اما في طاجكستان فهي تحتل الدولة الاولى في الواردات . (٧)

لقد كان انشاء خط انابيب باكو – تبليسي – جيهان (BTC) منذ العام ١٩٩٩ نكسة قوية للدبلوماسية الروسية ، مما حفز الطموح الروسي لانشاء خطوط جديدة تضمن فوائدها الخاصة . ولذلك في العام ٢٠٠١ اتفقت ثلاث من امهات الشركات الروسية في مجال الطاقة : يكوس ، لوك اويل وغاز بروم لانشاء كونسورتيوم خط انابيب قزوين Caspian Pipeline Consortium لنقل النفط الى نوفورسيسك تناغماً مع تصريح الرئيس بوتين باعتبار بحر قزوين منطقة مصالح حيوية لروسيا . ولذلك فمنذ عام ٢٠٠٣ ، فان العديد من الشركات الغربية التي سبقت لها الاستثمار في المنطقة ، قد استبدلت بالشركات الروسية التي نجحت بالحصول على اتفاقيات تمييزية طويلة الأمد تكاد تكون احتكارية بخصوص تصدير خامات الطاقة في آسيا الوسطى . فشركة بروم مثلاً وقعت في العام ٢٠٠٢ اتفاقية مع اوزبكستان لبيع الغاز الاوزبكي حتى عام ٢٠١٢ ، كما وقعت الشركة نفسها اتفاقية مشاركة لمدة (٢٥) عام مع اوزبكستان ، وفي العام ٢٠٠٤ وقعت شركة لوك اويل الروسية عقد مشاركة مع اوزبكستان للتنقيب عن الغاز لمدة (٣٥) عام ، وفي ٢٠٠٦ تم توقيع عقد مشاركة باستثمار مصادر الطاقة في بحر اورال بين شركة لوك اويل الروسية وكونسوريتوم عالمي من اوزبكستان وماليزيا والصين وكوريا .

كما ان هناك العديد من الاتفاقيات الاخرى مع سائر دول آسيا الوسطى ، فقد اصبحت روسيا المهيمنة بصورة واسعة على تصدير مصادر الطاقة (النفط والغاز) من تلك الدول ففي قطاع الغاز ، تهيمن روسيا على مانسبته ١٠٠ % من الانتاج الكازاخي والاوزبكي من خلال شبكة انابيب شركة غازبروم .

كما ان الشركات الروسية تستثمر ايضاً في قطاع الكهرباء ، وذلك بانشاء شبكة واسعة تمتد من الشمال الى الجنوب لتغطي الجمهوريات الخمس في آسيا الوسطى ، لاسيما ان العديد من شركات الكهرباء الوطنية في تلك الدول بدأت تبيع محطات انتاجها الى الشركات الروسية الكبرى بغية تسديد ديونها المقدرة بملايين الدولارات .

واصبحت روسيا ايضاً حاضرة اكثر في مجال صناعة المعادن ، فآسيا الوسطى غنية بمناجم الذهب ، اليورانيوم ، النحاس ، الزنك ، الحديد ... الخ . فالعديد من الشركات الروسية بدأت تساهم في هذه الصناعة بالرغم من المنافسة الشديدة من الشركات الاوربية والامريكية ، وايضاً من الشركات الوطنية الحكومية . ويعتبر الاستثمار في مجال اليورانيوم ، الاشد حيوية وذا أبعاد استراتيجية . في العام ٢٠٠٦ ، اقترح الرئيس الروسي بوتين انشاء " كتلة اوراسيا النووية " Eurasian Nuclear Bloc لتوحيد دول المنطقة ، لاسيما كازاخستان التي تسعى لتصبح واحدة من المنتجين في العالم بحلول العام ٢٠١٥ وذلك بزيادة الانتاج السنوي من ٣٠٠٠ الى ١٢٠٠٠ طن ، وكذلك اوزبكستان المنتج الأكبر لليورانيوم المستخدم في المجمع العسكري الصناعي السوفياتي . (٨)

كل هذه الاتفاقيات الاقتصادية وغيرها ، ساعدت موسكو للبقاء بقوة وبمؤشرات واضحة في آسيا الوسطى ، ولاعطائها ايضاً سيطرة مهمة على مصادر المواد الأولية .

وهكذا فان روسيا من خلال تواجدها في آسيا الوسطى ، قد وجدت حلاً لأهدافها المتعددة ، في:

١. استمرار التأثير السياسي في انظمة دول آسيا الوسطى من خلال السيطرة على مصادر الخامات .
٢. العمل على تطوير وسائل النقل لمصادر الطاقة (النفط والغاز) والسيطرة عليها من هذه الدول المغلقة .

٣. العمل على تقليل وسائل النقل المنافسة عبر الصين وايران وافغانستان وتركيا .
٤. تأمين المتطلبات المتزايدة لمصادر الطاقة في اوروبا .

كان من الواضح ان روسيا ومنذ العام ٢٠٠٠ قد استخدمت نفوذها في آسيا الوسطى استناداً الى مبادىء " القوة الناعمة " باستخدام مزيج من التكتيكات والاستراتيجيات والوسائل الاقتصادية ، بدلاً من اللجوء الى التهديدات العسكرية والضغط السياسي المباشر . وقد أدت العائدات الضخمة من مبيعات النفط والغاز الى خلق مستوى عال من التأثير والهيمنة الروسية التي لم تكن في متناول روسيا خلال عقد التسعينيات الماضي . وهكذا فان التواجد القوي والمؤثر لروسيا الاتحادية في الفضاء السوفياتي السابق في آسيا الوسطى قد اعطاها دون شك تأثيراً أعظم في المشهد العالمي .

العلاقات الراهنة بين روسيا وآسيا الوسطى :

هناك مسائل هامة تحكم العلاقات الراهنة بين روسيا الاتحادية والجمهوريات الاسلامية في آسيا الوسطى ، سيكون لتطورها تأثير بالغ في مستقبل العلاقات الثنائية بين الطرفين .

وتدور الآن مناقشات تهيمن عليها محاور سياسية ثلاثة تعتبر المفتاح لما يمكن ان تسفر عليها العلاقات بين الطرفين في المستقبل ، وهذه المسائل هي :

١. القوة الناعمة الروسية .
٢. مسألة الشتات Diaspora .
٣. مشكلة الهجرة .

ان دراسة هذه المسائل الثلاث ، تتيح فهم أفضل لتأثير انبعاث الشعور القومي الروسي في صناعة القرار السياسي :

١. القوة الناعمة :

تعدّ هذه المسألة دعامة هامة واساسية في العلاقات بين روسيا الاتحادية ودول آسيا الوسطى وتأثير روسيا في المنطقة .

وباستثناء مواقف بعض القوى المتطرفة في روسيا ، فان العديد من القوميين الروس لازال يفضل اعادة توحيد دول منطقة الفضاء السوفياتي السابق . ان أغلبية هؤلاء تطمح بان تحقق روسيا مصالحها وتجني الفوائد باعتبارها قوة عظمى دون ان تجر على نفسها تبعات امبراطورية جديدة ، خاصة الدعم المالي لدول مثل كازاخستان وطاجكستان او السياسي لقرغيزستان واوزبكستان .

ان التيارات القومية في روسيا تحث على ان تستثمر روسيا قوتها الناعمة في آسيا الوسطى عن طريقين : الأول ، عن طريق دعم تجمعات مؤسساتية قادرة على حماية الدول الجديدة في المنطقة رهن اشارتها . والثاني ، السيطرة على اقتصاديات آسيا الوسطى من خلا ل الشركات الروسية الكبرى ومنع أية منافسة مضادة في المنطقة .

وباستثناء دعاة العزلة ، فان اغلب انصار التيار القومي الروسي ولاسيما الجيش هم من دعاة انشاء وتطوير مؤسسات تعاون في المنطقة . وبهذا الصدد فان طريق الوحدة الاقتصادية من خلال هيئة اوراسيا الاقتصادية Eurasian Economic Community يعتبر من انجع الوسائل لحل مشاكل المنطقة ويعطي روسيا ايضاً الحق في مراقبة جيرانها وتأكيد دورها الاقتصادي الريادي . كما ان تقوية معاهدة الأمن الجماعي يعتبر من الوسائل المفضلة ، فمن خلالها ستعيد روسيا مكانتها ودورها في المنطقة بسرعة باعتبارها المجهز لاسلحة ومعدات جيوش تلك الدول .

ان القوميين الروس ، هم اصحاب الفكرة التي تقول بأن دول آسيا الوسطى هم الحلفاء الطبيعيين لروسيا . كما ينظر الى منظمة شنغهاي للتعاون بانها ذات قيمة عالية في زيادة وترسيخ التأثير الروسي في المنطقة .

كما يدعم القوميون الروس ، احياء الثقافة الروسية في تلك المنطقة من خلال التأكيد على الثقافة السلافية واعادة تأسيس المدارس الناطقة باللغة الروسية وتبادل برامج التعاون للاساتذة والطلاب ، باعتبارها احدى وسائل التأثير الروسي في المنطقة . ان اعادة احياء اللغة والثقافة الروسية في دول الفضاء

السوفياتي السابق تعتبر احد المفاتيح الرئيسة في القوة الناعمة . كما يدعم القوميون الروس بقوة النجاحات التي حققتها الشركات الروسية الكبرى في المنطقة منذ العام ٢٠٠١ كشركات غازبروم ولوك اويل ، وينطبق نفس الشيء على خطوط الانابيب الروسية الناقلة للطاقة من آسيا الوسطى عبر روسيا الى اوربا .

٢. مسألة الشتات : Diaspora

برزت هذه المسألة اثر تفكك الاتحاد السوفياتي وبقاء الملايين من المواطنين الروس في دول الاتحاد السابقة . وعندما لم تكن الحكومة الروسية في تسعينيات القرن الماضي مهتمة بدول الجوار ، اخذت المعارضة الشيوعية والقومية الروسية على عاتقها المبادرة الشعبية لاثارة هذا الموضوع تحت تسمية (مسألة الشتات) .

ثم قامت الحكومة تدريجياً بتبني هذا الموضوع ، ثم اصبح في عهد بوتين واحدا من اهم اهتمامات الرئاسة . ولقد اكد تنفيذ المنهاج الحكومي الروسي للمواطنة في العام ٢٠٠٦ الى ان " مسألة المواطنة " اصبحت من اساسيات الاستراتيجية الروسية الجديدة في دول الجوار .

ويدعو القوميون الروس لعودة اولئك الروس في دول الجوار (الشتات) حيث ان عودتهم ستقلص من النقص الحاصل في السكان وستزود روسيا بدماء جديدة للقوى العاملة والعمل ، اذ ان هؤلاء الروس وحسب الاحصاءات هم من طبقة افضل تعليماً وأكثر مهارة .

ان دول آسيا الوسطى تنظر بعدم الرضا الى هجرة مواطنيها من الاصول الروسية ، اذ يشكل معظمهم طبقة ماهرة من المهندسين والاطباء ورجال الاعمال والاقتصاد مما ينعكس سلباً على مجمل مناحي الحياة في آسيا الوسطى .

٣. مشكلة الهجرة :

تعدّ مشكلة الهجرة اكثر حساسية من مسألة الشتات . وهذه المشكلة لاتخص دول آسيا الوسطى فقط ، ولكن دول القوقاز ايضا ، كما الدول المجاورة مثل الصين وفيتنام وافغانستان . وكما في مسألة الشتات ، فان للقوميين الروس تأثيرهم في هذه المشكلة التي تؤثر بصورة مباشرة على مواطني آسيا الوسطى . وبعد رفض طويل من السلطات الروسية للنظر في هذه المشكلة ، فانها غيرت رأيها في ذلك ، وقد تم تشريع قانون روسي في العام ٢٠٠٧ يقلص من مستلزمات التسجيل والحصول على عمل لاولئك عابري الحدود بشكل قانوني ، ولكنه لم يعالج وضع المتواجدين على الاراضي الروسية بشكل غير قانوني .

وهناك من ينظر الى المهاجرين من آسيا الوسطى والقوقاز باعتبارهم يسرقون فرصة العمل من الروس ، فضلاً عن نظرة الشك والارتياب باعتبار البعض منهم من عصابات المافيا وتهريب المخدرات وجماعات العنف .

وتعدّ مشكلة الهجرة من المواضيع التي يختلف فيها القوميون الروس ، فمعظم القوميين المتطرفين ينظر الى القادمين من آسيا الوسطى باعتبارهم خطر على الاثنية الروسية ومتشبعين بالثقافة الاسلامية التي لاتتلائم مع الثقافة الروسية ، فيما يرى البعض بان لاخيار لروسيا سوى فتح ابوابها لاولئك المهاجرين بصورة شرعية على ان تكون الهجرة قانونية ومنظمة ومسيطر عليها ، وعلى الرغم من كل شيء فهم يفضلون هؤلاء المهاجرين من الجمهوريات السوفياتية السابقة في آسيا الوسطى على اولئك القادمين من آسيا أو الشرق الأوسط .

المبحث الثاني

حرب القوقاز : المتغيرات الجديدة

بقيت منطقة القوقاز **مدة** طويلة بعيدة عن الصراع والتنافس بين القوى ، بحكم كونها مجالاً جغرافياً مغلقاً ضمن الهيمنة المطلقة التي بسطتها الامبراطورية الروسية ثم الاتحاد السوفياتي على هذا المجال الواسع جغرافياً والمتعدد اثنياً ودينياً . الا ان تفكك الاتحاد السوفياتي في العام١٩٩١ وما بعده ، ادى الى انبعاث هذه المنطقة ، وكان لذلك تأثيراً مباشراً على واقع علاقات القوة في المنطقة ، اذ فتح المجال امام طموحات القوى المجاورة كتركيا وايران وغير المجاورة كالولايات المتحدة الامريكية والدول الاوربية ، في الوقت الذي تحاول فيه روسيا الاتحادية – بعد ان نهضت من كبوتها – الابقاء على نفوذها القوي ، خصوصاً باعادة هيكلة علاقاتها مع المنطقة على اسس جديدة تكفل لها الاستقلال السياسي مع بقائها حزاماً أمنياً ومجالاً حيوياً خاضعاً لهيمنتها .

ويمكن تحديد الصفات المميزة للخريطة الجيوسياسية لمنطقة القوقاز كالآتي :

١. بروز مجموعة مكونة من ثلاث دول مستقلة على الساحة الدولية ، وهي اذربيجان وارمينيا وجورجيا ، فضلاً عن خمس دول اسلامية في آسيا الوسطى ، دفعة واحدة وفي مجال جغرافي واحد ، مما يعدّ حدثاً فريداً في تاريخ العلاقات الدولية يتجاوز في ابعاده المختلفة اطار المجال الاقليمي .

اما سائر منطقة القوقاز خارج نطاق الجمهوريات الثلاث المستقلة ، فهي الآن تشكل جمهوريات واقاليم ذات حكم ذاتي ضمن روسيا الاتحادية .

٢. تقع هذه البلدان في قلب المجال الجغرافي الواسع ، المصطلح على تسميته اوراسيا ، أي المنطقة **المتحكمة بقلب العالم** كما حددها عالم الجيوبوليتك ماكندر (*) .

٣. تضم هذه المنطقة قوميات واديان عديدة ، سواء على مستوى المنطقة ككل او على مستوى الدول المكونة لهذا المجال الجغرافي .

٤. كما وتتميز المنطقة ايضاً بصراعات بين الدول المستقلة الجديدة ذاتها ومع روسيا الاتحادية ، وكذلك وجود نزعة استقلال او انفصال للدول المنضوية تحت راية روسيا الاتحادية .

الجغرافية والتاريخ :

جسر للعبور وملاذ للشعوب هو القوقاز ، مايفسر الحدود الداخلية المتغيرة على الدوام في الاقليم . جسر للعبور من الشمال الى الجنوب عبر بوابة مدينة ذربند التي تتحكم بالطرق المحاذية لساحل بحر قزوين ، وهي البوابة التي تقول الاساطير ان الاسكندر قد اغلقها لمنع تدفق (يأجوج ومأجوج) على الشرق الاوسط ، كذلك هي جسر للعبور من الشرق الى الغرب عبر وادي اراكس الذي يسمح باقامة الاتصال بين تبريز وارضروم ، بين ايران والاناضول .

اما الملاذ الذي تؤمنه الجبال ، فأنه يعود الى كون الوديان شمال سلسلة القوقاز الكبرى تحتضن شعوباً كثيرة من اصول مختلفة جاءت قديماً مع موجات الغزو الكبرى من الشرق الى الغرب عبر السهوب الروسية ، ومع مرور الأيام وفرت سلسلة القوقاز الصغرى الملجأ للهاربين الأرمن من الحروب المستمرة بين الفرس والعثمانيين ، ويشغل الاذربيجانيون **والجورجيون** منطقة بين السلسلتين .

وفي اقصى الشمال ، في السهوب الواقعة بين الدون والفولغا ، تلوح بلاد التتار وهم آخر القادمين الذين اعتنقوا الاسلام اعتباراً من القرن السابع عشر ، وفي اتجاه الجنوب في الخاصرة الشمالية لسلسلة القوقاز الكبرى ، يتحصن الشركس المسلمون ، واذ نتوجه شرقاً على امتداد السفوح الشمالية للقوقاز ، نجد القراتشاي والبلقار وهم من الاتراك ، والاوستيين والشيشان والانغوش بحيث نصل الى داغستان في محاذاة بحر قزوين وهي نموذج مصغر للتعقيد القوقازي .

---

* - هالفرد ماكندر ، الجغرافي البريطاني ، صاحب النظرية الخاصة بالقوة البرية التي تقول ان من يسيطر على منطقة السويداء (اوراسيا) يسيطر على جزيرة العالم (World Island). ومن يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم كله .

في جنوب سلسلة القوقاز الكبرى ، تتفاعل تركيبة اثنية / قومية (الأرمن والاذربيجان والجورجيون والابخاز) يتوزعون بين القوقاز والبحر الأسود في معادلة سياسية شديدة التعقيد . وهنا تركز الضغط العسكري الروسي مطلع القرن التاسع عشر، فقد فرض على ايران في ظل حكومة القاجار، التخلي عن اذربيجان وداغستان وجورجيا عام ١٨١٣ ثم عن ارمينيا عام ١٨٢٨ . (٩)

تعد جبال القفقاس (القوقاز) حداً فاصلاً بين آسيا واوروبا ، فما يقع في الشمال منها يدخل ضمن اوروبا ، وما يقع جنوباً يدخل ضمن آسيا . في جنوب هذه الجبال تقع الجمهوريات الجديدة التي نشأت بعد تفكك الاتحاد السوفياتي نهاية العام ١٩٩١ وهي اذربيجان وأرمينيا وجورجيا . وفي الشمال من هذه الجبال يوجد عدد من الجمهوريات التي تدخل في روسيا الاتحادية ولكنها ذات استقلال ذاتي ، وقد ضمت هذه المناطق الى روسيا في القرن التاسع عشر الميلادي بعد توسع الروس في المناطق الجنوبية الشرقية داخل جبال القوقاز حيث ضمت بعد حروب دامية . وكان معظمها يدين بالاسلام ، وهم ينتمون الى قوميات الشركس والبلكار والشاشان والاريجا . وتتكون هذه المنطقة الآن من ثماني جمهوريات ذات استقلال ذاتي مرتبطة بموسكو ، وهي : داغستان ، انجوتشيا ، الشاشان ، كباردينيا ، البلكار ، اوستيا (اوستيا الشمالية) ، قرقشاي الشركسية ، الاريجا . (١٠)

أهمية القوقاز الاستراتيجية لمستقبل روسيا الاتحادية :

تمتاز منطقة القوقاز بأهمية جيوبوليتيكية عظمى ، كونها تشكل المركز لمنطقة قلب العالم ، فضلاً عن انها المنطقة التي تفصل روسيا الاتحادية عن جاراتها الجنوبية في تركيا وايران ، وتعتبر ايضاً المنطقة الفاصلة الممتدة من آسيا الوسطى وبحر قزوين الى البحر الاسود واوروبا ، فهي تقوم بدور المفصل بين الغرب المسيحي وآسيا (البوذية والشنتوية) وديار الاسلام .

هذه المنطقة خضعت طويلاً الى النفوذ الروسي منذ نفوذ الامبراطورية الروسية ثم الاتحاد السوفياتي ، ولذا فان المصالح بينها وبين روسيا الاتحادية تداخلت بصورة متشعبة وواسعة جداً يصعب فك اشباكها . ان الانتقال من المجال الامبراطوري المتعدد القوميات الى دول قومية لايعني روسيا فحسب بل الوجود الاسلامي (الايراني والتركي) الذي ظل حاضراً في القوقاز وما وراء القوقاز على الرغم من التوسع الروسي جنوباً .

ان تفكك الاتحاد السوفياتي الى دول قومية متعددة اعاد الى دائرة الضوء المشاكل التي اختزلتها المرحلة السابقة وهكذا فان المسألة المزدوجة لمستقبل القوة الروسية ومنطقة اوراسيا تثار مجدداً عقب فاصل طويل اشاع الاعتقاد بأن المسألة القومية / الدينية وما يلازمها من مشاكل الحدود ، دخلت في طريق الحل .

وتمتلك مناطق القوقاز الروسي ثروات اقتصادية ضخمة من الانهار وزراعة القمح والذرة والخضر والفواكه والثروة الحيوانية والنفط والغاز الطبيعي والصناعات المختلفة واحواض اصلاح السفن ومصانع تعبئة الاسماك واللحوم ، كما وتتحكم في طرق مواصلات الاتحاد الروسي وبخاصة السكك الحديد التي تربط شمال القوقاز بجنوب روسيا ووسطها . وبذلك فأن هذه الثروات تشكل جزءاً كبيراً من الدخل القومي الروسي .

ان اغلب سكان القوقاز هم من اصول مختلفة ، لذا فان تحرك النزعة العرقية للسكان ، يسبب الخوف من تفكك الاتحاد الروسي ، وبذلك فهو يعتبر عاملاً خطيراً وأساسياً في مقومات الأمن القومي الروسي .

وقد اضاف اكتشاف النفط في بحر قزوين ، ومتطلبات نقله عبر انابيب ناقلة (نفط وغاز) أهمية استثنائية اضافية للمنطقة ، فهي تكاد تكون المنطقة الوحيدة لمرور تلك الانابيب الى اوربا ظراً لقصر المسافة وتوفر موانىء النقل .

ومن باكو عاصمة اذربيجان التي تقع على بحر قزوين ، تنطلق شبكة من الانابيب الناقلة باتجاه الغرب : (١١)

١. خط باكو – نوفوروسيسك : انبوب نفطي بقدرة (١٠٠) الف برميل يومياً .

٢. خط باكو –سوبسا : بطول (٨٣٠) كم وبقدرة (١٤٥) الف برميل يومياً .
٣. خط باكو – تبليسي – جيهان : بقدرة (١ر٢) مليون برميل يومياً .
٤. خط باكو – ارضروم (خط غاز جنوب القوقاز) : ويمر عبر تبليسي بطاقة (٢٠) مليار متر مكعب من الغاز سنوياً .

الدور التركي :

كان لانتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين أثراً عميقاً في التوجهات السياسية الخارجية التركية ، اذ فقدت تركيا دورها كموقع استراتيجي متقدم جداً في استراتيجية الحلف الاطلسي تجاه الاتحاد السوفياتي ، كما ان مساعيها الثابتة للانضمام الى المجموعة الاوروبية لم تتلق الاستجابة المتوقعة . هذه العوامل والفراغ الناشيء دفعت بتركيا الى التوجه بقوة للاضطلاع بدور قوة اقليمية محورها القوقاز وآسيا الوسطى .

وتستند طموحات تركيا على عوامل عدة ، ابرزها :

١. احياء المشاعر الطورانية ، وتبذل تركيا في هذا السياق جهوداً كبيرة في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية . فقد كانت تركيا الدولة الاولى التي اعترفت باستقلال اذربيجان في ١٩٩١/١١/٩ ، كما جاء اندلاع النزاع المسلح حول قره باخ كمثابة لتوطيد العلاقات بين البلدين . وفي الجهة الغربية للقوقاز تركزت اهتمامات تركيا على جمهورية جورجيا ، وتمحورت تحديداً حول مناطق معينة تطل مباشرة على البحر الأسود ، وهي جمهورية اجاريا المستقلة ذاتياً والتي تقطنها اغلبية مسلمة بفعل ثلاثة قرون من السيطرة العثمانية ، وجمهورية ابخازيا المستقلة ذاتياً حيث ينحدر سكانها من اصل تركي رغم اغلبيتها المسيحية .
٢. الدعم الغربي : تحتل تركيا في الادراك الغربي مكانة خاصة مقارنة بالدول المجاورة لها وذلك لتميزها بما يأتي :
أ. الارتباط الرسمي والقوي بالحلف الاطلسي منذ تأسيسه وحتى الآن .
ب. ان تركيا هي الدولة المشرفة على اهم المضائق (البسفور والدردنيل) بين الشرق والغرب ، واشهرها استقطاباً للصراع بين القوى الكبرى في التاريخ المعاصر ، فقد شكلت هذه المضائق احد المحاور الرئيسة لسياسات الصراع طيلة مايقارب ثلاثة قرون بين فرنسا وبريطانيا من جهة ، وروسيا القيصرية من جهة ثانية ، كما تعتبر احد ميادين الصراع الاولى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي .
ج. اعتماد تركيا ، العلمانية باكراً والسعي بثبات الى الارتباط بالغرب في جميع الميادين ، بما يعني تقمص مفاهيم العصرنة والديمقراطية واقتصاد السوق .

ولم يكن هذا الدور التركي بدون مساندة امريكية استهدفت : (١٢)

أولاً . احتواء النزاع بين اذربيجان وأرمينيا لكي لاينتشر في بقية انحاء المنطقة .
ثانياً . توظيف عامل الهياكل الاثنية لاضعاف ايران من الداخل باستعمال الاقلية الاذرية .
ثالثاً . دعم قوة استقرار في المنطقة بابراز قوة اقليمية حليفة ممثلة في تركيا ، تكون بمثابة عامل موازن لايران .

الدور الايراني :

في مواجهة التحرك التركي القائم على احياء الفكرة الطورانية والترويج للنموذج السياسي العلماني ، عملت ايران على توظيف :

- العامل الديني
- التعاون الاقتصادي ، لاسيما في مجالات الطاقة .
- تطوير دور ايران كخط عبور نحو الخليج والعالم الخارجي (باستثناء جورجيا المطلة على البحر الاسود) .

وتأتي جمهورية اذربيجان في مقدمة الاهتمامات الايرانية – مثلما هي الحال بالنسبة لتركيا – وذلك لاعتبارات اساسية تمس الوحدة الايرانية ، وأهمها التداخل الأثني لوجود عدة ملايين من الاذربين في ايران ، فضلاً عن الحدود المشتركة واعتناق المذهب الشيعي .
يتمحور التخوف الايراني حول انتعاش المطالب التاريخية المتعلقة بتوحيد الشعب الاذري على طرفي الحدود ، اذ ترى الحركات القومية الاذرية ان تقسيم اذربيجان هو نتاج مؤامرة تاريخية بين روسيا القيصرية وايران ، توجت بمعاهدة غولستان لسنة ١٨١٣ . وانطلاقاً من هذه المعطيات اتسم التحرك الايراني بـ:

١. رفض الطرح التاريخي حول تقسيم اذربيجان ، حيث تؤكد طهران بقوة على الفوارق التاريخية بين اذربيجان الشمالية التي تتكلم التركية واذربيجان الجنوبية والتي هي جزء من ايران الحالية .
٢. التحرك الدبلوماسي والقيام بدور الوسيط لحل النزاعات الاقليمية ، حيث عملت طهران بحماس على تولي دور الوساطة بين اذربيجان وأرمينيا في النزاع المسلح حول قره باخ ، وهي المساعي التي توجت باتفاق الرئيسين الاذري والأرميني لوقف اطلاق النار في ٦/أيار/١٩٩٢ في طهران تحت اشراف الرئيس الايراني الاسبق رفسنجاني .
٣. توفير الدعم المالي للعديد من المنظمات الثقافية والاجتماعية والسياسية العاملة في اذربيجان ، لدرجة دفعت سلطات باكو الى اتهام ايران بتخريب البلد في جميع الميادين ، لاغراض الهيمنة وفرض النموذج السياسي الايراني .

الى جانب هذا المجهود الصعب تجاه اذربيجان ، تطورت العلاقات مع أرمينيا تدريجياً وعلى اساس المصلحة الواقعية للطرفين .
لذلك فانه من بين الاربع دول المجاورة لأرمينيا ، تبقى ايران هي الشريك الضروري الذي يعلق عليه الارمن آمالاً اقتصادية ، يشجعهم في ذلك موقف ايران المعتدل في النزاع على قره باخ. وضمن المحور القوقازي نفسه، واصلت ايران تحركها تجاه جمهورية جورجيا ، وساعد طهران في موقفها هذا رغبة السلطات الجورجية الافلات من القبضة الروسية والعلاقات المتوترة مع موسكو ، بسبب دعم الاخيرة للحركات الانفصالية في ابخازيا واستونيا ، كما وتطمح ايران الى جعل جورجيا منفذاً هاما للنفط والغاز الايرانيين عبر البحر الاسود نحو اوروبا . ونظراً للامكانيات المتوافرة لدى جورجيا في مجال صناعة الطيران الحربي التي تعاني من نقص التمويل ، ابدت ايران اهتماماً كبيراً بتطوير هذا القطاع بغية الحصول على الطائرات التي تحتاجها .

اقليم ناغورنو قرة باغ :

تبلغ مساحة هذا الاقليم الذي يقع داخل جمهورية اذربيجان (٤٤٠٠) كم٢ ، وتبلغ نسبة السكان الأرمن ٧٧ % والأذريون ٢١% . فتح المسلمون الاقليم في القرن الثامن الميلادي ثم استولى عليه المغول وسموه بـ (قرة باغ) اي البستان الاسود ، واصبح هذا الاقليم ساحة للصراع العثماني الفارسي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر قبل ان يسيطر عليه الروس ، وبعد الثورة البلشفية في العام ١٩١٧ تفجر فيه الصراع العرقي ، ثم اصبح في العام ١٩١٨ منطقة نزاع بين اذربيجان وأرمينيا ، وفي عام ١٩٢٠ تنازلت اذربيجان الشيوعية عن الاقليم لأرمينيا ، وفي العام ١٩٢٣ وافق السوفيات على اعادة المنطقة لأذربيجان بوصفها منطقة ذات حكم ذاتي ، وبعد العام ١٩٨٨ واثر ضعف النظام المركزي السوفياتي ، فقد بدأ الصراع من جديد . (١٣)

ان الاقليم لازال منطقة نزاع ، فقد بدأ الصراع الجديد بمطالبة أرمن الاقليم بالالتحاق بأرمينيا ، مما يضفي عليه طابعاً عرقياً ، لكن التطورات اللاحقة أثبتت انه خرج من الطابع العرقي ليصبح قليمياً تتحكم فيه مصالح الجوار ، وبرغم ان الصراع يحمل الملامح الأذرية – الأرمينية ، ولكنه ايضا يحمل بصمات كل من روسيا الاتحادية وتركيا وايران .

الشيشان ... الصراع الدائم :

تقع جمهورية شاشان على السفوح الشمالية لجبال القوقاز وتبلغ مساحتها (١٩٣٠٠) كم^{٢} . وبلاد الشاشان غنية بمواردها الزراعية الكثيرة كما تعد من أهم المناطق الغنية بثروتها النفطية .

تعود الاصول العرقية للشعب الشيشاني الى اصول مغولية وتركية مختلفة كلياً عن الاصول السلافية للشعب الروسي ، وقد ساعدت الطبيعة الجبلية لبلاد القوقاز على صبغ هذا الشعب بصفات مميزة من أهمها كونه شعباً مقاتلاً يعتز بهويته القومية والدينية .

كان اول احتكاك بالاسلام في تلك المناطق في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وقد دخل الشيشان باعداد كبيرة في الاسلام اعتباراً من القرن الثاني عشر الميلادي ، واعتباراً من ذلك الوقت خضعت لحكم السلاجقة وخوارزم وجنكيز خان ثم لدولة الصفويين وفي النهاية للاتراك العثمانيين خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر . وقد تعرضت الشيشان لأول مرة للغزو الروسي منذ بدأ القيصر بطرس الأكبر في توسيع مملكته مع بداية القرن الثامن عشر ، فكانت المقاومة الشيشانية الشرسة ، واضطرار اعداد كبيرة منهم للهجرة الى تركيا فيما بين عامي ١٨٨١ و ١٩١٤ . وعقب الثورة البلشفية عام ١٩١٧ ، واكتشاف النفط فيها ، تعرضت اراضيها الشمالية لاستيطان اعداد كبيرة من الروس وفي العام ١٩٣٦ اصبحت جمهورية ذات حكم ذاتي ، ثم الغيت هذه الجمهورية في العام ١٩٤٦ ، وفي العام ١٩٥٧ صدر مرسوم يضم الشيشان الى جمهورية انجوشيا المجاورة ، وان ظلت منطقة ادارة روسية تخضع للحكومة الروسية مباشرة ، حتى اعلن الزعيم الشيشاني (دودايف) الاستقلال عام ١٩٩١ وانفصال الجمهورية عن انجوشيا عام ١٩٩٢ والثورة ضد ما اسماه بالاستعمار الروسي . (١٤)

بعد مرور نحو ثلاث سنوات على اعلان استقلال جمهورية الشيشان عن السلطة المركزية في موسكو ، اجتازت القوات الروسية في ١١ كانون اول ١٩٩٤ حدود الجمهورية الجبلية الصغيرة في القوقاز ، في محاولة لاعادة فرض سلطة موسكو على هذه الجمهورية في ظل اصرار الطرفين على مواقفهما المتضاربة والمتناقضة الى اقصى حد. وبذلك قرر الكرملين لأول مرة منذ تفكك الاتحاد السوفياتي وولادة روسيا الاتحادية ، تسوية خلاف سياسي داخلي بالوسائل العسكرية ، على الرغم من تحفظ اوساط واسعة من القوات المسلحة والبرلمانيين والقوى السياسية .

واظهرت تطورات الهجوم الواسع ، والذي اعتبر اكبر عملية عسكرية تنفذها موسكو منذ غزو افغانستان في كانون أول ١٩٧٩ ، ان القوات الروسية لم تتمكن من حسم الأمور سريعاً لمصلحتها ، الأمر الذي جعل الخسائر الروسية تفوق كل التوقعات في ظل اصرار المقاتلين الشيشان على وقف ودحر الهجوم الروسي .

لاشك في ان الحرب في الشيشان ، وبصرف النظر عن نتائجها العسكرية ، كان لها انعكاسات هائلة سواء على مستوى الفيدرالية الروسية كوحدة جغرافية تخضع للسلطة المركزية في موسكو او على المسرح السياسي في موسكو وخصوصاً لناحية الصراع على الصعيد الدولي والعلاقات القلقة مع الغرب والتي لم تنقذها الا حرب افغانستان ، واضطرار الولايات المتحدة الامريكية لغض النظر عما يجري في الشيشان وصمتها ، مقابل تأييد روسيا الاتحادية للحرب على الارهاب والحملة الامريكية في افغانستان ، وحاجتها لاستخدام الاجواء الروسية والقواعد الارضية والدعم اللوجستي في آسيا الوسطى .

استمرت المواجهات في الشيشان لمدة طويلة ، تخللتها ضربات قامت بها المقاومة الشيشانية هنا وهناك طالت حتى موسكو ، واتخذت هذه الحرب ، شكل حرب استنزاف اضعفت السلطة المركزية في موسكو وفاقمت من حدة الصراع على السلطة ، مع ماينطوي عليه ذلك من مخاطر تفكيك روسيا الاتحادية الذي كان الغرب عموماً والولايات المتحدة الامريكية تراهن عليه كثيراً ، ذلك ان ضعف السلطة المركزية سيشجع السلطات المحلية في الاقاليم الطرفية وخصوصاً في منطقتي الشرق الاقصى الروسي وسيبريا على المضي قدماً في سياسة الاستقلال عن المركز . كما ان صمود المقاتلين الشيشان حفز مشاعر التضامن الاسلامي لدى شعوب القوقاز . كما ان استمرار القتال في الشيشان سوف يعيد خلق ذكريات مرة عن الغزو السوفياتي لافغانستان الذي ساهم في تفكيك الاتحاد السوفياتي السابق .

لقد اثارت الحرب في الشيشان العواصم الغربية التي تحدثت عن انتهاكات لحقوق الانسان وتهديد للديمقراطية الوليدة في روسيا .

ان الاستشراف الواقعي للحرب في الشيشان ، يفترض ربط انعكاساتها بالعوامل التي ادت الى انفجار الصراع مجدداً ، ومن هذه العوامل مايتصل بالارث التاريخي المرير للعلاقة بين الروس والشيشانيين ، وبالتوجهات الجيوسياسية للسلطة المركزية في موسكو ، وكذلك وهو الاهم بالموقع الجيوستراتيجي لمنطقة القوقاز .

واذا كان يبدو ان الحملة العسكرية الروسية في الشيشان ترتبط أساساً بدوافع جيوسياسية تحركها متطلبات الأمن القومي الروسي الواسعة ، فان الدوافع الاقتصادية وخصوصاً النفطية ليست بأقل أهمية . وفضلاً عن الاحتياطات النفطية في الشيشان ، فأن هذه الجمهورية تمثل ممراً الزامياً لامدادات النفط الاذري عبر خطوط الانابيب التي تمر في اراضيها ، ومنها ذلك الذي يصل البحر الاسود ببحر قزوين والذي يمر عبره نفط اذربيجان . (١٥)

الحرب الروسية – الجورجية :

قامت القوات المسلحة الجورجية في ٨ آب ٢٠٠٨ بقصف اراضي اوسيتيا الجنوبية، مما ادى الى تدخل روسيا الاتحادية ونشوب حرب بين البلدين ، ارتبطت باخطاء في الحسابات السياسية والاستراتيجية خاصة من الطرف الجورجي ، الأمر الذي هددالأمن والاستقرار في منطقة القوقاز وبشكل يترك اثراً واضحاً في كافة الاطراف والقوى الاقليمية .

جذور النزاع :

انضمت جورجيا الى الاتحاد السوفياتي في عام ١٩٢٤ ، ويرتبط تاريخ الطرفين باسماء جورجية بارزة في التاريخ السوفياتي ، مثل ستالين الذي كان احد ابرز زعماء ثورة اكتوبر الاشتراكية والذي قاد الاتحاد السوفياتي ابان الحرب العالمية الثانية وحقق الانتصار على المانيا النازية ، وكذلك ادوارد شيفرنادزة الذي تولى ملف السياسة الخارجية في عهد الرئيس السوفياتي الاخير جورباتشوف والذي يرتبط اسمه بتفكك الاتحاد السوفياتي .

شهدت تبليسي عاصمة جورجيا ، صدامات واعمال عنف في نيسان ١٩٨٩ كانت مقدمة لاعلان استقلال جورجيا في عام ١٩٩٠ وقبل تفكك الاتحاد السوفياتي بما يزيد على سنة . وكانت جورجيا قد شهدت أنذاك نذر الحرب الاهلية التي اندلعت نتيجة الغاء نظام الحكم الذاتي في كل من ابخازيا واوسيتيا الجنوبية وأوجاريا ، وهو ما اتهمت به جورجيا موسكو بدعمه وتأجيجه ، الأمر الذي كان وراء رفض جورجيا الانضمام الى منظمة دول الكومنولث المستقلة التي جمعت دول الاتحاد السوفياتي السابق في كانون أول ١٩٩١ ، الأمر الذي لم يستمر طويلاً حيث اعلن شيفرنادزه بعد تسنمه منصب الرئاسة في البلاد ، انضمام بلاده الى الكومنولث . تلك العلاقة الجديدة ، شابتها شكوك كثيرة لاسيما في ظل توجهات شيفرنادزه باتجاه الغرب ورغبته في الانضمام لحلف الناتو والاتحاد الاوربي ، وهو ماتبناه صراحة الرئيس الحالي ساكشفيلي ، الذي تمادى كثيراً في عدائه لموسكو بعد ان تزعم محاولات حشد كل القوى المناوئة لموسكو والتي شكلت ماعرف بتحالف دول " جوام " التي تضم كلاً من جورجيا ، اوكرانيا ، مولدوفا واذربيجان ، الى جانب تحالفاته مع بولندا ودول البلطيق الثلاث المعروفة بعلاقاتها المتوترة مع روسيا .

شكلت اوسيتيا الموحدة ، احدى دويلات منطقة القوقاز ، فقد انضمت في العام ١٧٧٤ الى الامبراطورية الروسية القيصرية التي ظلت جزءاً من اراضيها حتى اندلاع الثورة البلشفية في اكتوبر ١٩١٧ ، وخلال سنوات الاضطراب اللاحقة انضمت المناطق الشمالية من اوسيتيا الى روسيا ، بينما استطاعت السلطات الجورجية فرض سيطرتها على المناطق الجنوبية .

وفي العام ١٩٢٢ انضمت جورجيا الى الاتحاد السوفياتي الذي تشكل في العام نفسه .

وفي العام ١٩٣٦ التاريخ الرسمي لتأسيس جمهورية جورجيا السوفياتية ، أعلنت اوسيتيا الجنوبية واحداً من اقاليمها ذات الحكم الذاتي ، واستمر الوضع حتى تشرين ثاني ١٩٨٩ حيث اعلن مجلس نواب

اوسيتيا الجنوبية تحويل الاقليم الى جمهورية ذات حكم ذاتي ، الأمر الذي ادى الى اندلاع الحرب الاهلية ، واعلان الانفصال الكامل وقيام جمهورية اوسيتيا الجنوبية في ٢٠ أيلول ١٩٩٠ ، الأمر الذي ردت عليه جورجيا بالغاء نظام الحكم الذاتي في الاقليم وفي كل من ابخازيا وادجاريا .(١٦)

وبعد حرب استمرت عاماً بدعم من موسكو ، انتصرت ابخازيا ، حيث تم توقيع اتفاق لوقف اطلاق النار في مايس ١٩٩٤ ، تلاه نشر بعثة مراقبة تابعة للأمم المتحدة ، وقوة روسية للفصل بتفويض من رابطة الدول المستقلة .

في تشرين ثاني ٢٠٠٦ ، أجرت اوسيتيا الجنوبية استفتاءً ، حصلت فيه الموافقة على الاستقلال وطلب الانضمام الى روسيا الاتحادية ، وفي آذار ٢٠٠٨ تقدم البرلمان الابخازي بطلب الاعتراف بالاستقلال والانضمام للأمم المتحدة ، وتبع ذلك اعلان روسيا انها ستعترف بالمؤسسات والهيئات التجارية في ابخازيا واوسيتيا الجنوبية . (١٧)

لقد كانت المناوشات المتقطعة واطلاق النار جزءاً من الحياة اليومية في منطقة النزاع ، الا ان الهجوم الجورجي العسكري الواسع ليلة ٨ آب ٢٠٠٨ ، ربما يكون مفاجأة الهبت المنطقة ودفعت موسكو للتدخل عسكرياً ، وفي هذا هناك عدة روايات : (١٨)

١. ان الهجوم الجورجي ، كان بتحريض من ديك تشيني نائب الرئيس الامريكي ، أملاً منه في دعم حملة جون ماكين الانتخابية .
٢. وهناك من يقول ان كونداليزا رايس وزيرة الخارجية الامريكية آنذاك هي التي شجعت الرئيس الجورجي على شن الحرب .
٣. ان الحرب التي شنتها جورجيا ، جاءت من اجل مساعدة الولايات المتحدة لنشر درعها الصاروخي على الاراضي الجورجية ، في ظل الممانعة التشيكية والبولندية .

وبعيداً عن الجدل بشأن حقيقة الدور الامريكي في النزاع بين روسيا الاتحادية وجورجيا ، فأن التوتر بدأ يتصاعد بعد تفكك الاتحاد السوفياتي ، بسبب الثروات النفطية في منطقة بحر قزوين وآسيا الوسطى ، وزحف الغرب نحو هذه المنطقة عبر جورجيا واذربيجان من خلال الاستثمارات النفطية ، ثم جاء تنفيذ مشروع خط انابيب نفط (باكو – تبليسي – جيهان) قبل عامين ليشكل ضربة امريكية لروسيا ، كونه اول خط انابيب ينقل نفط بحر قزوين بعيداً عن الاراضي الروسية . وعززت واشنطن من تعاونها العسكري مع جورجيا واذربيجان سواء في اطار حلف الناتو (برنامج الشراكة من اجل السلام) ، أوبشكل منفرد من خلال تقديم المساعدات العسكرية وارسال خبراء للتدريب ، كما ان الولايات المتحدة ارسلت جنودها في شباط ٢٠٠٢ الى جورجيا تحت عنوان تدريب القوات الجورجية لمحاربة الارهابيين الفارين من افغانستان وتعقب مقاتلي القاعدة الفارين الى جبال القوقاز . (١٩)

رأت الحسابات الروسية ان الطريقة الوحيدة امام روسيا لعرقلة مساعي جورجيا للانضمام لحلف الناتو هي اشعال التوتر في ابخازيا الى مستوى يجعل من الصعب على الناتو قبول دولة جديدة في عضويته وهي متورطة في نزاع عسكري مع دولة كبرى مثل روسيا .

وفي كل الاحوال فأن المغامرة التي اقدم عليها ساكشفيلي تدل على تهور غير عادي ، فأقدامه على تحدي بلد مثل روسيا تزداد فيه النزعة القومية وعلى حدوده الجنوبية المضطربة ، هو ضرب من المغامرة الى اقصى حد ، هذا الى جانب ان التكلفة الفورية للحرب هي تبخر آمال تبليسي في دمج اوسيتيا الجنوبية وابخازيا مع جورجيا ، فقد انهت روسيا خمسة ايام من الحرب باحكام سيطرتها على الاقليمين .

لقد ادى اعتراف روسيا في ٢٦ آب ٢٠٠٨ باستقلال اوسيتيا الجنوبية وابخازيا ، بأنه بات من شبه المستحيل عودتهما الى جورجيا .

كان الرد الروسي محاولة سريعة لاستغلال غلطة جورجيا واستخدامها كذريعة لاذلالها وردعها عن تحدي سلطة روسيا ثانية ، واخذ العبر من درس استقلال كوسوفو الذي سارع الغرب الى الاعتراف به دون رضا موسكو، كما ويشكل الرد الروسي دفاعاً عن مصالح روسيا في الفضاء السوفياتي السابق . واظهرت روسيا انها اجتازت اختباراً هو الاصعب لقدرة قوتها العسكرية من جانب ، وارادتها السياسية باتخاذ قرار الحرب الحاسم من الجانب الآخر .

لقد التزمت روسيا الصمت طويلاً ازاء التدخل الامريكي في المجال الحيوي لها المتمثل في جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق ، الذي اتخذ ابعاداً ليست اقتصادية فقط ، ولكن وهو الاهم والاخطر ، التدخل العسكري المباشر في صورة قواعد عسكرية وتعاون عسكري واسع النطاق مع عدد من تلك الدول وفي مقدمتها جورجيا ، فلم تكن روسيا في ذلك الوقت في وضع يسمح لها بمواجهات مع الولايات المتحدة ، ولم تكن قد تعافت بعد من كبوتها على النحو الذي تتيح لها قدراتها الاقتصادية والعسكرية مثل هذه المواجهة .

ان الموقف الروسي من الأزمة في اوسيتيا ، يعكس تغيراً حقيقياً له دلالاته فيما يتعلق بالسياسة الروسية وتوازن القوى الدولي . فقد عكست الأزمة رغبة القيادة الروسية في تأكيد كون روسيا لاعباً دولياً لايمكن تجاوزه او اختراق دائرة امنه القومي ، وهي محاولة من جانب روسيا لاستعادة بعض مواقع النفوذ التي فقدتها منذ تفكك الاتحاد السوفياتي ، وتصحيح الخلل في توازن القوى مع الولايات المتحدة الى علاقة اكثر تكافؤاً في اطار نظام متعدد القوى ينهي الاحتكار والانفراد الامريكي في ادارة الشأن الدولي . (٢٠)

المصادر :

1. Marlene Laurelled, Russia' s Central Asia Policy and the Role of Russian Nationalism, Central Asia – Caucasus Institute, April 2008, P.8 .
٢. طالب حسين حافظ ، سياسة روسيا الاتحادية تجاه الجمهوريات الاسلامية في آسيا الوسطى، رسالة ماجستير غير منشورة – كلية العلوم السياسية – جامعة بغداد – ٢٠٠٥ ، ص ١١٩.
3. Erica Marta, Soviet Military legacy and Regional Security Cooperation in Central Asia , The Chine and Eurasia Forum Quarterly, 2007 , P. 83 .
٤. السلاح ونزع السلاح والأمن الدولي ، الكتاب السنوي ٢٠٠٦ ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ١٣٥ .
٥. د. برهان كور اوغلو ، دور روسيا في تشكلات العالم الجديد ، مركز الجزيرة للدراسات ، ٢٠٠٩ ، ص ٥ .
٦. جريدة الشرق الأوسط ، العدد ١١١٠٣ ، ٢٠٠٩/٤/٢٢ .
7. Sebastian Peyrouse, The Economic Aspects of the Chinese – Central – Asia Rapprochement, Silk Road Papers, The Central Asia and Caucasus Institute, SAIS, Sep. 2007 .
8. www. World – nuclear. Org/sym/ 2004 .
٩. ميشال نوفل ، القوقاز ومستقبل روسيا ، شؤون الاوسط ، العدد (٣٧) ، كانون ثاني ١٩٩٥ ، بيروت ، ص ٦ .
١٠. د. عبد الرحمن الهواري ، جمهوريات الاتحاد الروسي ، الدفاع ، العدد (١٠٣) ،شباط ١٩٩٥ ، القاهرة ، ص ص ٦ – ١٣ .
١١.الفاينانشيال تايمز ، ١١ آب ٢٠٠٨ .
١٢.جفال عمار ، التنافس الايراني – التركي في آسيا الوسطى والقوقاز ، شؤون الأوسط ، العدد (٧٤) تموز ١٩٩٨ ، بيروت ، ص ١٠١ .
١٣. مطيع الله تائب ، اذربيجان والتحدي الأرمني ، قضايا دولية ، العدد (١٩٥) ، تشرين أول ١٩٩٣ ، بيروت ، ص ٢٠ .
١٤. د. اسماعيل محمد شوقي ، روسيا ومشكلة الشيشان ، الدفاع ، العدد (١٠٣) ، شباط ١٩٩٥ ، القاهرة ، ص ١٤ .
١٥. علي جوني ، الحرب في تشيتشينيا ، شؤون الأوسط ، العدد (٣٧) ، كانون ثاني ١٩٩٥ ، بيروت ، ص ١٦ .
١٦. جريدة الشرق الأوسط ، لندن ، ١١ آب ٢٠٠٨ .

١٧. الملف الاستراتيجي ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة ، تموز ٢٠٠٨ .
١٨. جريدة الحياة ، لندن ، ٢٤ آب ٢٠٠٨ .
١٩. احمد دياب ، النزاع في القوقاز ، السياسة الدولية ، العدد (١٧٤) ، القاهرة ، اكتوبر ٢٠٠٨ ، ص ٢١٠ .
٢٠. د. نورهان الشيخ ، روسيا وازمة اوسيتيا الجنوبية ، السياسة الدولية ، العدد (١٧٤) ، القاهرة ، اكتوبر ٢٠٠٨ ، ص ٢٠٤ .

The New Changes in Policy of Federal Russia towards Middle Asia and Caucasus

Instructor **Talib Hussein Hafedh**
Center for International Studies / Baghdad University

Abstract

Federal Russia remains the central player in the space of post-Soviet Union, particularly in the regions of Middle Asia and the Caucasus , which set standard for the local transformations of the two regions.

The Russian concern continued about the shift of power in the world, as long as Russia is concerned with limiting the action of the United States in the area in which Russia sees as vital area to its national interests. Russia's nationalists play a main role in reviving Russia's influence in Middle Asia as a vital area and the natural ally of Russia, but without resorting to the old ways of using the threat of military force.

The idea of the return of Russia as a superpower in the global arena in Middle Asia in particular, is dominating over Russia today. Russia sees Middle Asia as a "prize in the road" After Russia was able to avert the West's dominance of the United States from the region, there are three options for the future of Middle Asia:

1. To remain under the protection of Russia.
2. To Slip in chaos and instability.
3. Or to become under Chinese domination.

But by virtue of the Russia policy of soft power and the preservation of Russia citizenship, it with ensure the survival of the Muslim republics in Middle Asia under the influence of Russia politically and economically.

As for the Caucasus region, it can be noted, the risk of renewed violence on all sides still exists. The level of concern, which covers the region is not a level reached thought negotiations agreed by all parties. Tense atmosphere, whether at the level of relation between the countries of (Azerbaijan , Armenia) and (Russia and Georgia), or at the level of the internal affairs of States themselves : Federal Russia and its problems with the (North Caucasus : Dagestan, Chechnya), (Azerbaijan and Nagorno-Karabakh), (Georgia and Ossetia and Abkhazia), and so on as well as the intervention of the regional countries represented by Turkey and Iran, and major powers like the United States and Europe.

As all countries of the Caucasus have no intention to accept the status of minorities' Control over some areas therefore it is no exaggeration to say that the Caucasus region with remain volatile for a period of time.

The Russian-Georgian war imposed a new reality, and the international system will continue to be unipolar, where South Ossetia crisis isconsidered as turning point indication the beginning of real change in the structure of the international system towards a multi-system power. Federal Russia is considered an active player in this system, which means that international conflict will continue with the United States and will be more pronounced in the vital area of Russia and the republics of the former Soviet Union as an energy sources and areas of passing pipes , which means it will stay the core of conflict.